والى ذلك، أثار الكتاب الابيض، بما هو تعبير عن تشدد حكومة بريطانيا في وجه رغبة الحركة الوطنيـة الفلسطينية في الوصول الى تفاهم معها، موجة أخرى من السخط في الاوساط العربية في فلسطين. هذا السخط عكسته عشرات البرقيات التي ارسلها ممثلو الرأي العام للاحتجاج على الكتاب الابيض؛ وكان منها برقية أعيان عكا: «نؤيد وفدنا الفلسطيني بجميع مطالبه برفض الانتداب ووعد بلفور، ونطلب الاستقلال والوحدة العربية»[٦٢]؛ وبرقية اعيان الناصرة: «نرفض الانتداب الانجليزي المؤدي الى تصريح بلفور الجائر طالبين الاستقلال»[٦٣]؛ وبرقية اعيان صفد: «نطلب الاستقلال التام. نرفض الانتداب»[٦٤]؛ وبرقية اعيان الرملة: «يئسنا من العدالة البريطانية التي، رغم عهودها، فتحت بلادنا لمتشردي العالم. نرفض الانتداب البريطاني مع وعد بلفور، رغم القول بأن جمعية الأمم تمثال نحته لويد جورج. راجعناكم، لآخر مرة، راجين، لآخر مرة، من عدالة اوروبا المسيحية، عدم اعطاء قرار يكـون أتوناً مستديماً في فلسطين»[٦٥]. وبنصوص قريبة من واحد من النصوص آنفة الذكر، صدرت برقيات احتجاج عن وجهاء المدن كافة وعن الجمعيات الاسلامية ـ المسيحية كافة[٦٦].

وفيما كان التحضير جارياً لعقد المؤتمر العربي الفلسطيني الخاص، وبرقيات الاحتجاج تتوالى، أعلنت البلاد اضراباً عاماً جرى في ١٣ و ١٤ تموز (يوليو) ١٩٢٢، احتجاجاً على تأييد بريطانيا للصهيونية، حسب التعبير الذي استخدمه رئيس الجمعية الاسلامية ـ المسيحية في يافا، الذي رأى «أن الامة كلها تطلب الاستقلال التام ورفض كل انتداب مع وعد بلفور»[٦٧].

في غضون ذلك، كانت عملية صك الانتداب تمر في مراحلها الاخيرة، ولم يلبث مجلس عصبة الامم أن صادق عليـه في ٢٤ تمـوز (يوليـو) ١٩٢٢، ليصبـح ساري المفعـول في أواخر ايلول (سبتمبر) ١٩٢٣[٦٨]. لقد أوجد الحلفاء المنتصرون في الحرب العالمية الاولى نظام الانتداب ليسهل لهم السيطرة على المستعمرات التي كانت تابعة للدول المهزومة، والتحرر من الوعود التي قطعوها لشعوب هذه المستعمرات حين كانوا بحاجة الى معونتها في الحرب، فمنوها بمنحها الاستقلال. واعطت هذه الدول المنتصرة لنظام الانتداب صيغة دولية، حين نصت عليه في المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم، وقد تحدثت الفقرة ١ من هذه المادة عن «المستعمرات والاقطار التي، بنتيجة الحرب، بطلت تابعيتها لسيادة الدول التي كانت تحكمها من قبل، والمأهولة بشعوب ليست، بعد، قادرة على القيام، لوحدها، تحت صعوبات احوال العالم الحديث»، فقررت ان تطوير هذه الشعوب وترقيتها «يشكلان أمانة تمدن مقدسة»[٦٩]. ورأت الفقرة ٢ ان توكل هذه الامانة الى «أمم متقدمة تمارس دور التمدن بصفة منتدبين عن عصبة الامم»[٧٠]. وجعلت الفقرات التالية للانتداب درجات تتعلق كل منها بدرجة الرقي التي قطعها الشعب المعني، وتوجب نوعاً من الادارة ينسجم معها. وقد اعتبرت الاقطار التي كانت تابعة للامبراطورية العثمانية في مقدم الدرجات المذكورة، لأنها، وفق الفقرة ٤، «وصلت من الرقي الى درجة يستطاع عندها الاعتراف بقيامها بصفة امم مستقلة»[٧١].

ومع استناده الى المادة ٢٢، من ميثاق عصبة الامم، تميز صك الانتداب على فلسطين، عن غيره من الصكوك المماثلة، بأن أوجبت المادة الثانية منه «ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وادارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي، وفقاً لما جاء بيانه في ديبـاجة [مقدمة] هذا الصك وترقية مؤسسات الحكم الذاتي، وتكون مسؤولة، أيضاً، عن صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين، بقطع النظر عن الجنس والدين»[٧٢]. كما تميز هذا الصـك بالزامـه الدولة المنتـدبـة الاعتراف «بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لاسداء المشورة